ظاهرة مزج اللغات وتعاقبها في الملفوظات السجنية المتداولة –سجون الشمال الغربي نموذجا–

أ. لحسن رحو
جامعة تلمسان

ملخص: يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة لغوية تناولت تناقل مجموعة من الملفوظات اختصت في خطاب مجموعات من النزلاء داخل المؤسسات العقابية بشمال الغرب الجزائري هذه الظاهرة تسمى بمزج اللغات أو تعاقبها داخل الرصيد اللغوي الذي تحوزه العينات المختارة.

الكلمات المفتاحية: خطاب، ظاهرة لغوية، مزج اللغات، ملفوظات.

Résumé : l'objectif de la présente étude est de jeter la lumière sur un phénomène linguistique qui se caractérise à travers un discours échangeable entre détenus dans le nord-ouest Algérien. Ce phénomène se dit « alternance codique » dont plusieurs variétés se contactent au sein de répertoire verbal des énoncés.

Mots clés : discours, phénomène linguistique, alternance codique, énoncés

تمهيد: من الظواهر الاجتماعية التي سجلت اهتمام بالغا وكبيرا لدى الباحثين في علم الاجتماع اللغوي عامة وعلم اللهجات خاصة هي ظاهرة الاستعمال اللغوي داخل المجتمع المتكلم الواحد. فهناك لهجات تميز فئة اجتماعية عن أخرى، وتمثل غالبا في لهجات الحرف والمهن كالفخارين والصيادين والنجارين.....إلخ. ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى تناول ظاهرة مزج اللغات وتعاقبها بحيث تتعايش في الاستعمال اللغوي الفعلي للساكنة السجنية لدى بعض المؤسسات العقابية بشمال الغرب الجزائري كنموذج.

أهمية الدراسة: تتجلى أهمية هذه الدراسة السوسيولغوية وتنبثق فكرتها من حيث أن اللغة هي سلوك بشري يأخذ أشكالا متعددة ومتداخلة في نفس الوقت بحيث لوحظ ضمن المجتمع المدروس أي المجتمع السجنى انتقال باللغة من مستواها العادي التقريري إلى المستوى غير العادي الإيحائي، الذي يستوجب تمحيص الكلام المنطوق واكتشاف الظواهر اللغوية وما تضمره من مضامين دلالية وتداولية يكتنفها الغموض والرمز والتشفير.

العينات المدروسة: تمثلت العينات المختارة في فحص بعض من الملفوظات التي يتلفظ بها جمهور السجناء في مؤسسات الشمال الغربي، وقد ركزنا على فئة المسبوقين قضائيا في خطابهم اليومي وانتقينا بعض المفردات التي يتداولونها ويتخاطبون بها في معاشهم ومحيطهم الذي هو السياق السجني.

جرد بعض المفردات الشائعة التداول: يقوم نزلاء المؤسسات العقابية موضوع دراستنا بتوظيف بعض من الكلمات في جملهم وحديثهم اليومي نذكر منها:

شافchef ⟵ (موظف ،عون)

لا فوي ⟵ fouille (تفتيش)

صال ⟵ salle (حجرة ، قاعة)

بالوار ⟵ parloir (محادثة الزيارة)

بالوار رابروشي ⟵ parloir rapproché (محادثة دون فاصل)

لاسيز ⟵ l'assise(دورة الجنايات)

فول كاليفي ⟵ vol qualifié (سرقة موصوفة)

باربات ⟵ perpete (سجن مؤبد)

ماندا ⟵ mandat(مذكرة قبض)

حجم العينات: مؤسسة إعادة تأهيل وهران: 100 نزيل

مؤسسة إعادة تأهيل سيدي بلعباس: 100 نزيل

مؤسسة إعادة تأهيل تلمسان: 100 نزيل

مؤسسة إعادة التربية الجديدة عين تموشنت: 100 نزيل

مؤسسة الوقاية مغنية: 20 نزيل

وقد ركزنا على النزلاء المسبوقين قضائيا عن قصد كونهم يتعارفون جيدا ويفهمون شفرات رسائلهم

المتغيرات:

- **متغير الجنس:** رجال
- **متغير السن:** شباب وكهول (من18 إلى 27 سنة) ومن (28 إلى 40)

متغير الوضع الإجتماعي: هي فئات غالبا من الطبقة الوسطى العاملة والفقيرة وعديمة الدخل، ذات المستوى التعليمي المتوسط أو المتدني مع تسجيل شريحة عريضة من الأميين

منهج الدراسة: أما من حيث المناهج، فقد استفدت من المناهج التي يتوخاها الباحث اللساني الإجتماعي. ولما كانت التوجهات البحثية سوسيولغوية، كان لا بد من النزول إلى الميدان والوقوف على الإستعمالات والسلوكات اللغوية الفعلية للمجتمع المدروس، كي يتسنى لنا معاهدتها فقمنا بتسجيل الكلام الذي يتفوه به المتخاطبون بشكل عفوي وتلقائي بطريقة الإستماع والتسجيل أثناء المشافهة. ورغم ما يثيره هذا الأسلوب من مشاكل أخلاقية إلا أنه يعد أفضل السبل لأنه يفضي إلى نتائج موضوعية ومخرجات تعكس فعلا الإستعمالات اللغوية في المجتمع المدروس على حد تعبير و.لابوف (1) **william labov**

تعريف التداول اللهجي: التداول اللهجي لدى السجناء النزلاء هو مجموعة من االمفردات والأقوال والملفوضات التي يستعمله هؤلاء في فضاء المؤسسات العقابية وقد لاتجد لها أثرا حارجها. إن المتتبع لدورة الكلام عند هؤلاء النزلاء موضوع

دراستنا سيقف لا محالة غلى رصيد لغوي répertoire verbal تتعايش فيه ظاهرة لغوية تسمى مزج اللغات أو تعاقب اللغات

ظاهرة مزج اللغات وتعاقبها في الملفوظات السجنية المتداولة: اتجه الاهتمام إلى السلوكات الفعلية وذلك بالنظر والتمحيص في ظاهرة التعاقب اللغوي أو تمازج التنوعات اللغوية في المشافهة.

وتعرف هذه الظاهرة حسب الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي بأنها تقوم على تجاوز مقاطع لغوية تنتمي إلى تنوع بعينه مع مقاطع تنتمي إلى تنوع لغوي آخر أو عدة تنوعات لغوية أخرى.

عندما يكون الفرد إزاء لغتين يستعملها بالتناوب، فيحصل أن تتمازج في خطابه وأن تنتج ملفوظات "**مزدوجة**" عملية تلصيق **Collage**، انتقال من نقطة من الخطاب بلغة إلى أخرى، وما ندي "**بمزج اللغات**" **(Code Mixing)** أو التعاقب اللغوي **(Code Switching)** وهذا حسب حصول التغير اللغوي في مجرى الجملة نفسها أو في جملة إلى أخرى[2].

<u>مثال 1:</u> وهذا مثال مقتطف من أحاديث بعض النزلاء "هدر نورمال قولها وعاود، عطاهلي الشاف واهدرنا لافوي في لا تروا. بدنالهم الصال. عطينا هوم بياصات جدد. هادي بزافماجا ونيشفاميلتي. غادي نشوفهم هاد الوي كاند. الشاف تراس واه".

لنضع المقتطف في شفافية أكثر حتى نبين بوضوح الألفاظ الدخيلة.

"هدر نورمال **(Normal)** قولها وعاود عطاهلي الشاف **(Chef)** واه درنا لافوي **(La Fouille)** في لاتروا **(La Trois)**. بدنالهوم الصال **(La Salle)** وعطيناهوم بياصات جدد **(Paillace)** هادي بزاف ما جاونيش فاميلتي **(Ma Famille)**. غادي نشوفهوم الويكاند **(Week-end)** الجاي بالوار رابروشي **(Parloir Rapproché)**. الشاف **(Chef)** تراس واه".

نجد في هذا المقتطف كلمات بالفرنسية مدرجة في خطاب يتمازج فيه العامي بالفصيح وهذا ينم عن حالة الاحتكاك اللغوي التي يوجد عليها المتكلم وتشكل حسب واضع "**اللغة المزدوجة**" مزجا للغات الذي هو مشترك بالطبع بين المرسل المخاطب والمرسل إليه المتلقي.

فهما نزيلين مسلوبي الحرية في مؤسسة عقابية كباقي المؤسسات العقابية المنتشرة عبر الشمال الغربي الجزائري أوجدها الاستعمار الفرنسي **منذ دخوله 1830**.

فعموما المفردات التي كانت تستعمل في تلك الفترة لا زالت حاضرة في لغة التخاطب اليومي لدى النزلاء.

ولنعود للمقتطف ونشرح كلمة بكلمة حتى نخرج مقصد الكلام من هذا التعاقب اللغوي.

هدر فعل في الأمر من **الهدرة**[3] يريدون بها الكلام وهي مأخوذة من لفظ "**الهدر**" الفصيح وهي تكلم.

نورمال ⟵ فرنسي Normal ⟵ عادي

الشاف ⟵ le chef المسؤول أو القائد وهو المدير هنا.

لافوي ⟵ fouille نعني "**التفتيش**" وهو تدبير أمني احترازي يقوم به الموظفون في جميع أماكن الحبس للبحث عن أشياء يمنعها القانون ومن شانها أن تعرض امن المؤسسة وامن نزلاءها للخطر.

لاتروا ⟵ la trois ويقصد بها **(la salle trois)** أي القاعة رقم **(03)** مختزلا كلمة صال ⟵ **(salle)** ومكتفيا "**لاتروا**" كون لغة المشافهة تميل إلى الاختزال بكثرة كما أسلفنا الذكر.

بدنالهم الصال⟵ في بدل يبدل، فهم يدغمون اللام في الدال لدواعي صوتية. هوم بالمد وهم ضمير غائب في الجمع وهو بمد الواو هنا، يقصد بهم النزلاء نزلاء القاعة **(03)**، يمكن إجراء تبديل كلي أو جزئي فقط.

الصال ⟵ La Salle ⟵ هي القاعة.

بياصات ⟵ paillces ⟵ هي مطارح

فاميلتي ⟵ Ma Famille ⟵ عائلتي.

الويكاند ⟵ week-end ⟵ نهاية الأسبوع.

بالوار رابروشي⟵ Parloir Rapproché محادثة زائرية مقربة دون فاصل تمنح للنزلاء ذوي السيرة والسلوك الحسن والذين يقدمون خدمات جليلة للمؤسسة أو ينجحون في المسابقات والامتحانات كامتحان شهادة البكالوريا، ويمنح من طرف المدير كمكافأة وتحفيز.

تراس ⟵ رجل.

فلنخرج هذا المقتطف في صيغة أخرى تكسبه حلة كالآتي:

"عادي، تكلم، قلها وأعدها مرة أخرى. نعم المدير هو الذي أعطاني إياه. قد قمنا بعملية تفتيش في القاعة رقم 03 فقمنا بتبديل النزلاء أو تغييرهم من القاعة ووزعناهم على القاعات الأخرى. وأعطينا كل واحد منهم مطرح جديد".

"لم تأتي عائلتي لزيارتي منذ مدة. سأراهم في نهاية الأسبوع وأتحادث معهم دون فاصل أو حاجز شباك محادثتي مقربة، نعم المدير تراس، بمعنى رجل".

نجد في هذا المقتطف مقاطع أو كلمات بالفرنسية مدرجة فيه تشتغل في سياق عامي تارة وفصيحي تارة أخرى، فهي تشتغل لترسيخ الخطاب في الواقع الذي يحال عليه.

هذه الطريقة في الكلام يمكن استهجانها من طرف الناس، لاكن أحد الدارسين الباحثين الذي هو ج. قمبرس **(J.Gumperz)**[4] يردها إلى أن المتكلم يستعمل الدخيرة أو الرصيد اللغوي (Répertoire Verbal) الذي هو في حوزته من أجل بلوغ مردودية تبليغية ممكنة بل ذهب إلى أبعد حد في هذا، إذ يعدها إستراتيجية خطابية (Discursive Strategy) لا تتم دائما عن عجز في لغة من اللغات.

فالتعاقب في هذا المقتطف تقريبا لفظ بلفظ، كلمة بكلمة، بحيث تطغى الفرنسية بشكل بين حسب الرسم البياني الآتي:

رسم بياني للمنوعات وتمازجها

فصيح عربي	%41
عامي دراج	%21
فرنسي دخيل	%38

نستنتج أن التعاقب اللغوي يمكن أن يستجيب لاستراتيجيات الحديث، ومن ثم يمكن أن ينتج معنى ودلالة، من الصعب الإحاطة به عمليا لأنه يستلزم معرفة دقيقة بالقواعد الضمنية التي تنظم المجتمع المدروس، كما يتطلب دراسة بدواعي المتكلمين وأغراضهم.

مثال2:

فلنسوق الحديث التالينبين ذلك تطبيقيا:" يفوت في لاسيز واه، دخل على مرا. فول كليفي. غادي يشدو له. يروح فيها واه. يلا ما عطاوهش باربات. فيها كتيلا. لقاوها ميت واه. الدهب مخيون واه. وهو مازال هارب. خرجو له ماندا بصح".

نخرجها على النحو التالي:

"يفوت لاسيز **(L'assise)** واه، دخل على مرا واه، فول كاليفي **(Vol Qualifié)** غادي يشودو له بصح؟، يروح فيهايلا ما عطاوهش باربات واه **(Perpète)**، فيها كتيلا واه، لقاوها ميت، ما قضبوهش ما زال هارب. خرجو له ماندا " **(Manda)**

– يفوت في لاسيز ⟵ **(L'assise)** لاسيز هو دورة محكمة الجنايات، معنى ذلك أن هذا الشخص سيحاكم على ارتكابه جريمة تشكل جناية في القطب الجزائري.

– دخل على مرا فليل ⟵ دخل على امرأة في الليل أو ليلا أي سطا على امرأة ليلا.

– فول كليفي واه ⟵ سرقة موصوفة أو سرقة بالتعدد في ظرف الليل كما يصفها قانون العقوبات الجزائري.

– يروح فيها ⟵ من انروح الأمازيغية بمعنى أنه لن ينجو بفعلته هذه.

– غادي يشدو له ⟵ سوف يشددون له العقوبة.

– يلا ما عطاوهش باربات ⟵ **(Perpète)**احتمال كبير أنه سيعاقب بالسجن المؤبد.

– فيها كتيل ⟵ إبدال القاف بالكاف أو "**كتيل**" وهي "**قتيل**" ظاهرة صوتية تسمى المخالفة وهي كلمة "**القتل**"، أو جريمة القتل "**Homicide**".

– ما قضبوهش ما زال هارب ⟵ لم يقبضوا عليه بعد، لا زال في حالة هروب.

– خرجوا له ماندا بصح ⟵ خرجوا وهي في الأصل "**أخرجوا**"، ومعناها هنا "**استصدار أمر**" استصدار مذكرة قبض.

رسم بياني يبين تمازج اللغات وتعايشها

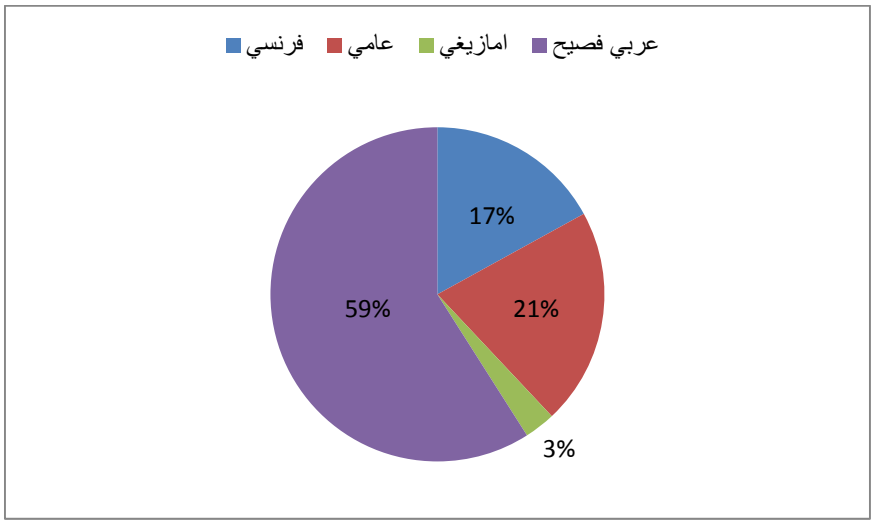

نفهم عن هذا المثال أن الحديث يدور حول مجرم سطا على منزل امرأة ارتكب جريمة السرقة الموصوفة في ظرف الليل أو ظرف التعدد كما يصوغه القانونيون ولا زال في حالة فرار وقد استصدر القضاء في حقه مذكرة قبض وأنه عندما يقبض عليه سيقدم للمحاكمة وسيشدد القضاء عقوبته احتمال أن العقوبة هي السجن المؤبد لأن المرأة وجدت ميتة أي "**قتل عمدي**".

أولا: إذا استمعنا لهذا الحديث وفحصناه، نجد أن هناك نزيل يخاطب نزلاء معه من نفس جماعته أو زمرته يستشعر المتكلمون فيها مجموعة المواقف والأحاديث ويتقاسمونها باشتراك. فهم يفهمون جيدا ما يقول لهم رفيقهم، فكأنه يتكلم مجيبا على أسئلة زملائه وإن لم تطرح صراحة، فهو يعرض الواقعة وفي معرض يحس

السامع أنه لا مجال لطرح الأسئلة ففي الحديث إجابة عن الأسئلة، ففك الرسالة عندهم جد بسيط.

ثانيا: ليس هناك حدود فاصلة عندهم بين فصيح وعامي وفرنسي وأمازيغي فكل التنوعات متعايشة.

ثالثا: الاستعمال اللغوي دينامي واقعي في هذا المثل.

فخلاصة القول اللغة الفرنسية كلغة ناقلة مهيمنة من خلال المفردات التي تبين طبيعة الجرم والعقوبات المرجح تسليطها على الجاني في الأمثلة المسوقة. فالعوامل التاريخية يجب أن لا نقلل من شأنها، فهي تبلغ عن سانكرونية وضعيات لغوية

خاتمة: عموما لقد سمحت لنا هذه الدراسة أن نسجل أنه ثمة ظواهر لغوية تولدت عن الاحتكاك بين اللغات عبر الزمن. فالظواهر الحاصلة بين التنوعات يسميها المختصون في علم الاجتماع اللغوي بتمازج اللغات (code mixing) وتعاقب اللغات (code switching)، بحيث تتناضد وتتعايش فيها العربية والعامية والفرنسية المستقرضة من أجل بلوغ مردودية تبليغية ممكنة عند المتكلم و هي استراتيجية خطابية.

الهوامش:

1-william labov , sociolinguistique, trad, française ,paris :ed.de minuit ,1976, page 99

2- K. Taleb- Ibrahimi, les algeriens et leurs langues, alger, dar el hikma, P 55.

-3 د. ع المالك مرتاض، مرجع مذكور (العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى)، المؤسسة الوطنية للكتاب ص 60.

4-Gumperz, Johnj, (1982 b) « Discourse, Strategies » Cambridge, University Press, P 166.